

مناسبة مشاهد قصة نوح عليه السلام لسورتي (القمر والأعراف)

أ. سيطي مرضية أزهر* د. منصور أبو زينة**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٨/٦/٢٦م

تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/١٢/٢٣م

ملخص

يتناول هذا البحث مناسبة مشاهد قصة نوح عليه السلام لسورتي القمر والأعراف، حيث عرض البحث للعلاقة بين علم المناسبات ومشاهد القصص القرآني، وكذلك قام هذا البحث بتحليل قصة نوح -عليه الصلاة والسلام- ودرست مناسبة مشاهدها لكنتا السورتين العظيمتين (القمر والأعراف)، متبعة المنهجين الاستقرائي والاستنباطي في استكشاف مشاهد القصة الواردة واختصاصها في أهم كتب التفسير، وتحليل نصوصهم المتعلقة بالموضوع، واستنباط مناسبة المشاهد للقصة على حسب السورة.

وخلص هذا البحث إلى جملة من النتائج منها: كنتا السورتين العظيمتين (القمر والأعراف) من السور المكية التي عرضت لقصص الأمم السالفة مثل: قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه الكافرين؛ وذلك لتسليية فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهته لمشركي مكة، وبيان أنه ليس وحده من سار على طريق الدعوة والرسالة، فتبين أن سورة القمر فيها مشاهد جرت بين نوح عليه السلام وقومه مثل: تكذيب القوم لدعوته، ودعاء نوح عليه السلام في مناجاته لربه واستجابة الله له، وأما سورة الأعراف فجاءت مشاهد القصة بداية من دعوته عليه السلام، ثم إنكارهم لرسالته الربانية ومجادلتهم له عليه السلام حتى نزل بهم العذاب الشديد، وجاءت مشاهد قصة نوح عليه السلام متناسبة ومتناسقة مع موضوع السورتين (القمر والأعراف) ومحورهما.

الكلمات المفتاحية: مناسبة، مشاهد القصة، سورة القمر والأعراف.

Abstract

This research is about the connection of Prophet Noah peace be upon him Story's and this story had been repeated for a few times in The Holy Quran mainly in Surah Al-Qamar, and Al-A'raf. On top of that, it potrays the important manifestations which emphasizes and the stories of The Holy Quran. Therefore, it is analyses the rationalisations of Noah's stories for both of the surahs; Al-Qamar and Al-A'raf by using two methods; inductions and deduction approach in collecting any information that are founded in books, analysing related texts and deduce the rationalisation for the story depending on the surah. at the end, this research has obtained some significant findings; both surahs are *makki* verses contents story of former nations for example story of Prophet Noah Alaihissalam and his disbeliever's people; which is to calm Prophet Muhammad's peace be upon him heart, when faces his fellow-Meccans and their rejection of One God. Likewise, that he is not alone on the path of the call and the Prophetic message, and objections that his raised by the people with regard to his prophethood were the same. Thus, scenes of surah Qamar.

* باحثة.

** أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك.

explains what happened between him and his people for example his people denied Prophetic call, and he was called his Lord. Then, God Almighty answered his prayer. The Surah Al-A'raaf explained the scenes of the story from his beginning call to worship, and they denied him and argued with him peace be upon him until the severe torment came. □

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن القرآن الكريم قد أنزله الله تبارك وتعالى على رسوله محمد ﷺ هداية ورحمة للعالمين، وآية على صدق دعوته، ودليلاً على صحة نبوته، وإعجازاً للمعاندين والملحدين وآية الله للعالمين. ولذلك حفظه الله تعالى وصانه من كل تحريف وتبديل وتغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وكتاب الله يتضمن الأحكام والتشريعات والعبادات والمعاملات، ويشتمل كذلك على قصص الأمم السابقين والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. وقال -سبحانه-: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وسيدنا نوح ﷺ هو أول رسول أرسله الله إلى الأرض، وقبله كان آدم أبو البشر ﷺ أول نبي بعثه الله إلى أبنائه^(١)، وجاءت قصة نوح ﷺ مع قومه في القرآن الكريم مراتٍ عديدة في سور مختلفة، وغير متتابعة، وبأساليب متنوعة. والسور التي عرضت فيها قصته ﷺ كلها مكية وهي بالترتيب وهي: سورة الأعراف، يونس، هود، المؤمنون، الشعراء، العنكبوت، الصافات، القمر، ونوح^(٢)، وكذلك ذكرت قصته ﷺ في بضع عشرة سورة بوجه مجمل وغير مفصل خصوصاً في العهد المدني منها: آل عمران، التوبة، الحج، التحريم والحديد. ولا شك أن هذه القصة ترتبط ارتباطاً قوياً بأسلوب القرآن الرفيع وبلاغته السامية؛ لأنه ورد بلسان العرب، فبلغ الذروة والقدح المعلى في البلاغة والفصاحة التي لم يجاريها كلام بشر، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

إن المواضع المتعددة في السور المختلفة، التي وردت فيها مشاهد من قصة نوح ﷺ، تقود إلى البحث والنظر في مناسبة جزئيات القصة ومشاهدها ومواقفها التي دُكرت في سورة دون أخرى، أو عُرِضَتْ في كُلِّ سورة بطريقة مختلفة، لتتنسق مع موضوع السورة ومقاصدها وأغراضها. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث واختيار هاتين السورتين من بين السور المكية التي عرضت لمشاهد من قصة نوح ﷺ بالتفصيل تحت عنوان: (مناسبة مشاهد قصة نوح ﷺ لسورتي القمر والأعراف).

حدود البحث.

وردت إشارات إلى قصة نوح ﷺ في بعض السور المدنية دون تفصيل^(٣)، ولكن تفصيل أحداث القصة ورد في سور العهد المكي، وهذا البحث يُركِّز على بيان مناسبة مشاهد قصة نوح ﷺ لاثنتين من السور المكية، وهما: القمر، والأعراف. ويستثني هذا البحث سورة أخرى (سورة نوح)؛ نظراً إلى أنها قد خُصِّصَتْ كاملة لعرض قصته ﷺ مع قومه، مع أنها من أول السور التي عرضت فيها قصة نوح ﷺ على حسب ترتيب النزول.

الدراسات السابقة.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، فإني لم أجد في الكتب والرسائل مَنْ أفرَدَ هذا الموضوع بالدراسة، ولكن هناك بعض الدراسات والأبحاث التي لها صلة بموضوع بحثي، من أهمها ما يأتي:

(١) بحث لمحمود أحمد الأطرش، "التكرار في قصة نوح"، مجلة تهامة، كلية الشريعة والقانون، جامعة الحديدة، العدد ٣، ٢٠٠١م.

هدف هذا البحث إلى بيان أبرز خصائص القصة القرآنية، وهي مسألة التكرار؛ فالتكرار في القصص القرآني سر من أسرار إعجازه البياني. وتضمن البحث عرض القرآن الكريم لقصة نوح عليه السلام في مواضع متعددة من سور مختلفة.

(٢) ويلتقي هذا البحث مع بحثي في أنه عرض لقصة نوح عليه السلام من خلال المواضع التي ذكرت فيها في سور القرآن الكريم، وتوصل الباحث فيها إلى أنه قد تمَّ عرض قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم بحسب حلقاتها، فإنه في كل مرة يأخذ حلقة من تلك القصة وبما يتناسب مع السورة، ولكن بحثه كان إشارات موجزة، ويمتاز بحثي هذا بمزيد من التعمق والتخصص في تسليط الضوء على مسألة عرض سورتي القمر والأعراف لمشاهد من قصة نوح عليه السلام.

(٣) بحث لسامي عطا حسن، "المناسبات بين الآيات والسور: فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها"، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٠، العدد ١، ٢٠٠٣م.

هدف البحث إلى التعريف بأهمية المناسبات بين الآيات والسور بشكل عام، وتوضيح أنها لون من ألوان إعجاز القرآن الكريم، الذي يربط ربطاً وثيقاً بين السورة وأجزائها وآياتها. وتضمن البحث عرضاً عن علم المناسبات وأنواعها، وكذلك فوائدها ومعرفتها وموقف العلماء من المناسبات مع ذكر مصنفاتهم فيها.

ويلتقي هذا البحث مع بحثي فيما توصلت إليه من أن المناسبات بين الآيات والسور تمكننا من معرفة كيف استقام للقرآن هذا التآلف والتناسق الذي يشهد بحق وصدق على إعجاز القرآن الكريم وإلهية مصدره، ويبرز الحكمة من ضرب الأمثال وقص القصص، حسب مقتضيات الأحوال. يبدو أن بحثي هذا قد خص جانباً لم يذكره الباحث في بحثه هذا، ألا وهو تطبيق عملي لأهمية علم المناسبات ودوره في بيان الإعجاز القرآني في الربط بين الآيات والسور من خلال قصة نوح عليه السلام الوارد ذكرها في سورتي القمر والأعراف.

(٤) كتاب لفضل حسن عباس، "قصص القرآن الكريم"، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

درس هذا الكتاب قصص القرآن الكريم؛ من الأنبياء والسابقين الذين ذكرت قصتهم في كتاب الله. وتضمن بائنين اثنتين: أولهما: دراسات حول القصة القرآنية، وينتظم في خمسة فصول. وثانيهما: القصص القرآني عرض وتحليل، ويقع في عشرين فصلاً.

وقد استندت من هذه الدراسة خصوصاً في قصة نوح عليه السلام، من حيث ما ذكر من إشارات قرآنية، ومن حيث الموضوعات والجزئيات والمشاهد في سورتي القمر، والأعراف، وعرض المؤلف لاختصاص كل سورة بما يتسق مع موضوعها. وقد اختصت بحثي هذه بمزيد من التفصيل والعناية بمشاهد وحلقات قصة نوح عليه السلام في سورتي القمر والأعراف وعلاقة هذه المشاهد والحلقات بالوحدة الموضوعية للسورة وعلم المناسبات.

(٥) كتاب لصالح عبد الفتاح الخالدي، "مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه"، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

تناول هذا الكتاب الإشكالات التي تثار حول قصص الأنبياء والرسول في القرآن، والتساؤلات التي تطرح حول معاني

الآيات التي تحدثت عنهم، ونسبت لهم أقوالاً وأفعالاً تحتاج إلى حسن فهم وتفسير. وتتاول البحث عرض قصص الأنبياء والرسل، ومنهم نوح ﷺ، وقد حلّلتها المؤلف في ثمانية إشكالات حولها، وذكر الآية أو الآيات التي عرضت قصته ﷺ مع توضيح الإشكال الذي يثار حولها، ثم حلّها وتحليلها، وتوضيحها وتفسيرها. هذا فقد اتفق هذا البحث مع بحثي من حيث عرضه لقصة نوح ﷺ في السور التي ذكرت فيها وتناولها لها بالتحليل والتوضيح بقصد حل الإشكالات حولها، ومما اختص به بحثي بيان سبب اختيار مشاهد معينة من قصة نوح ﷺ في السورتين المذكورتين فقط -القمر والأعراف-، مبيّنة أثر علم المناسبات في هذا الاختيار، الذي بدوره يصب في بوتقة الإعجاز القرآني.

منهج البحث.

ستعتمد الباحثة في هذا البحث على المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وذلك لاستقراء جميع الآيات المتعلقة بموضوع قصة نوح ﷺ ومشاهدها كما وردت في سورة القمر والأعراف، مستعينةً بكتب التفسير وبقية المراجع المناسبة.
- المنهج الاستنباطي: وذلك لتقييم مشاهد القصة في ضوء محور سورة القمر والأعراف، وبيان مناسبتها لها، وتقديم آراء العلماء بجمع المعلومات الواردة في كتب التفسير وغيرها قديماً وحديثاً، وتحليل نصوصهم المتعلقة بالموضوع واستنباط المناسبة على حسب السورة.

خطة الدراسة.

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن حدود البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بعلم المناسبات والمشاهد باختصار.

المبحث الأول: التعريف بسورتي القمر والأعراف بوجه عام. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة القمر.

الفرع الأول: وجه تسميتها.

الفرع الثاني: محور السورة.

الفرع الثالث: مناسبة سورة القمر لما قبلها.

المطلب الثاني: التعريف بسورة الأعراف.

الفرع الأول: وجه تسميتها.

الفرع الثاني: محور السورة.

الفرع الثالث: مناسبة سورة الأعراف لما قبلها.

المبحث الثاني: مشاهد قصة نوح ﷺ ومناسبتها لسورتي القمر والأعراف. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مشهد دعوة نوح ﷺ قومه إلى عبادة الله وحده.

المطلب الثاني: مشهد تكذيب القوم لرسالة نوح ﷺ.

المطلب الثالث: مشهد إنذار نوح عليه السلام قومه ونصيحته لهم.

المطلب الرابع: مشهد دعاء نوح عليه السلام إلى الله تعالى.

المطلب الخامس: مشهد استجابة الله له وقصة السفينة.

المطلب السادس: مشهد أحوال المؤمنين والكافرين في نهاية القصة.

الخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد: التعريف بعلم المناسبات والمشاهد باختصار.

المناسبة في اللغة: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة (نَسَب) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به^(٤).

ويُعرَّف علم المناسبة اصطلاحاً بأنه: (عِلْمٌ تُعْرَفُ به عِلَلُ تَرْتِيبِ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ)^(٥) فهو علم تعرف به وجوه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولنا: (أجزاء القرآن) شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنَه^(٦).

ومن هنا يتبين أهمية علم المناسبة في الوقوف على وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم المائل في نظمه وترابط أجزائه وأخذه بحجز بعضه، فالمناسبة بين آيات القرآن الكريم وسوره كما قال الزركشي: (أَمْرٌ مَعْقُولٌ إِذَا عُرِضَ عَلَى الْعُقُولِ تَلَقَّنَهُ بِالْقَبُولِ)^(٧).

وأما كلمة "مشاهد" لغة: فهي جمع مشهد، اسم مكان من شَهِدَ^(٨). قال ابن فارس: "شهد) الشين والهاء والذال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقال: شهد يشهد شهادة. والمشهد: محضر الناس"^(٩).

ومفهوم المشاهد كما يقول سيد قطب: "هي التي تتوافر فيها الصورة، والحركة والإيقاع"^(١٠). فتفاعل هذه العناصر الثلاثة لتكون جزءاً من قصة تروى وكأنها ماثلة للعيان تُشَاهَدُ وتُحَسُّ.

المبحث الأول:

التعريف بسورتي القمر والأعراف بوجه عام.

وفي هذا المبحث سننظر في تعريف سورتي القمر والأعراف تعريفاً إجمالياً؛ حتى يكون مدخلاً للحديث فيما بعد عن المناسبة ومدى الانسجام ما بين محور السورة ومشاهد قصة نوح عليه السلام.

المطلب الأول: التعريف بسورة القمر.

سورة القمر سورة مكية كلها في قول الجمهور^(١١) وقيل: مكية [إلا الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ فمدينية]، عدد آياتها خمس وخمسون، ونزلت بعد سورة (الطارق).^(١٢) تحدثت هذه السورة الكريمة عن قصة قوم نوح عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَلْوَابِ وَأُوسِرَ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: ٩-١٤].

أخبرنا الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة عن تكذيب وتهديد المشركين من أهل مكة الذين كذبوا بدعوته ﷺ وما حمل الرسول ﷺ من الآيات، وقالوا: هذا سحر مستمر (١٣).

وسورة القمر هي أول سورة تحدثت عن مشاهد قصة نوح ﷺ، فعرضت بآياتها القصيرة (١٤) القصة وعناصرها، وبدأت ببيان كيف كذَّب القومُ نوحاً ﷺ، واتهموه بالجنون، وأنكروا عليه رسالته، فدعا نوح ﷺ ربه طالباً منه النصر، فاستجاب الله له، فأَنْزَلَ البلاءَ على قومه بفتح أبواب السماء بالمطر الغزير، وتفجَّر الماء من الأرض حتى يلتقي الماء من المصدرين الأساسيين؛ السماء والأرض، ويحدث الطوفان الشديد في تاريخ البشرية وعيداً من الله.

وينجِّي الله تعالى نوحاً ﷺ وقومه المؤمنين معه في السفينة المكونة من ألواح خشبية ودرس صنعها بأمر من الله. وأما الكفار من قومه فأغرقهم الله جميعاً في الطوفان حتى لم يُبقِ منهم أحداً على وجه الأرض، وفي نهاية القصة اختتم المشهد على وجه الاستفهام للتهويل والتعجيب؛ ليبين الله هول العذاب لمن كذَّب بالرسول ورسالاتهم (١٥).

جاءت هذه القصة في سياق الحديث عن تكذيب المشركين من أهل مكة لرسول الله محمد ﷺ عندما أتى بالبرهان والآيات لقومه فقالوا له: هذا سحر مبين، ثم تبعها قصص للكافرين المكذِّبين لرسولهم، وهدف السور القرآنية التي تتناول قصص الأنبياء هو التخفيف والتسوية للرسول ﷺ وتصبيره على عنادهم وكفرهم (١٦).

فكان ذكر قصصهم وبيان إصرارهم على الجهل والعناد يفيد في تسوية الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- والتخفيف عنه وتهئية قلبه في مواجهة كفرهم (١٧). قال (متاع القطان): "إنَّ من ضوابط ومميزات سور العهد المكي ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذِّبين قبلهم، وتسوية لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم" (١٨).

الفرع الأول: وجه تسميتها.

قد اختلف العلماء حول اسمها، قال (السيوطي): "اقتربت: تسمى القمر" (١٩). كما جاء في (التحرير): "اسمها بين السلف «سورة اقتربت الساعة». وبهذا الاسم عنون لها البخاري في كتاب التفسير (٢٠). وتسمى «سورة القمر» وبذلك ترجمها الترمذي. وتسمى «سورة اقتربت» نسبة لأول كلمة فيها" (٢١).

وقيل: سميت سورة القمر؛ لافتتاحها بالخبر عن انشقاق القمر، معجزةً لنبينا محمد ﷺ كقوله تعالى: ﴿اقتربتِ الساعةُ واشتقَّ القمرُ﴾ [القمر: ١] (٢٢).

وكلمة (قمر) في اللغة العربية لها معانٍ عدة، منها: كما جاء عند ابن فارس: "قمر) القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض في شيء، ثم يفرع منه. من ذلك القمر: قمر السماء، سمي قمرًا لبياضه" (٢٣). ومنها: ما جاء في (الصاحح): "وقمرتُ الرجلُ أقرمه بالكسر قمرًا، إذا لاعتته فيه فغلِبته. وقامرتهُ فقرتهُ أقرمه بالضم قمرًا، إذا فاخرته فيه فغلِبته" (٢٤).

كما قال (علي راضي): "وهذا المعنى للفعل (قمر) قريب من اشتقاق المقامرة منه حيث يتفاضل المقامرون ليفوز أمرهم" (٢٥).

الفرع الثاني: محور السورة.

ومما روي عن فضل هذه السورة ومكانتها: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة العيدين بقافٍ واقتربت الساعة" (٢٦)، وقال (ابن كثير): "وكان يقرأ بهما -أي: قاف والقمر- في المحافل الكبار؛ لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته،

والتوحيد، وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة^(٢٧).

وتتمثل في هذه السورة الكريمة سماتٌ سور العهد المكي، من حيث تقرير أصول التوحيد والعقيدة الإسلامية، والتهديد بالعذاب للأمم السابقة والكفار الذين كذبوا بآيات الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-، وإثبات الجزاء يوم القيامة وغير ذلك. يقول (سيد قطب): "هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملةٌ مرعبةٌ مفزعةٌ عنيفةٌ على قلوب المكذبين بالندى، بقدر ما هي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة الصادقة"^(٢٨).

ويذكرُ (ابن عاشور) أنّ هذه السورة عرضت أشكال عناد المشركين في مكة في الآيات التي بينت مواجهتهم للرسول ﷺ، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن مكابرتهم وعنادهم، وإنذارهم باقتراب القيامة وبما يلاقونه يوم البعث من الشدائد، وتذكيرهم بما لقيته الأمم السابقة أمثالهم من عذاب في الدنيا، لتكذيبهم رسل الله، وأنهم سيلقون مثلما لقي أولئك من العذاب من كفار الأمم السابقة^(٢٩).

لذا جاءت القصص^(٣٠) في هذه السورة لتؤدي الدور الكامل في تحقيق محور السورة والغرض الرئيس فيها، فكانت كل قصة بمثابة مشهد يغطي جزءاً معيناً من محور السورة، حتى إذا تكاملت مشاهد القصص جميعاً شكلت صورة متكاملة وفت بالغرض من السورة والمقصد منها، ومما يلحظ هنا أنه لا يمكن الاستغناء بقصة عن أخرى، إذ لكل منها دوره في تغطية الجزء المخصص من الغرض الأساسي للسورة، وهذا ما يطلق عليه الوحدة الموضوعية.

الفرع الثالث: مناسبة سورة القمر لما قبلها.

جاءت سورة النجم قبل سورة القمر حسب ترتيب المصحف، وبينهما رابط قوي. قال (البقاعي): "لَمَّا خُتِمَت (النجم) بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها... افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلاً وسمعاً في التأثير في أعظم آيات الله وغير ذلك، ليقطع العباد عن الفساد، ويستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد"^(٣١).

وقال (المراعي) في تفسيره: "إنّ هذه قد فصلت ما جاء في سابقتها، ففيها إيضاح أحوال الأمم التي كذبت رسلها، وتفصيل سبب هلاكهم الذي أشار إليه في السابقة بقوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: ٥٠-٥٢] فما أشبهها مع سابقتها بالأعراف بعد الأنعام، والشعراء بعد الفرقان"^(٣٢).

المطلب الثاني: التعريف بسورة الأعراف.

سورة الأعراف هي السورة السادسة من السبع الطوال^(٣٣) في القرآن الكريم. وهي السابعة حسب ترتيب سور المصحف، والأعراف من السورة المكية إلا من آية: ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠^(٣٤) فمدنية^(٣٥)، وآياتها مئتان وست آيات في عدد أهل المدينة، ومكة والكوفة، ومئتان وخمس في عدد أهل الشام والبصرة^(٣٦)، ونزلت بعد سورة (ص)^(٣٧) وهي أول سورة عرضت للتفصيل في قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ومهمتها كسائر السور المكية، توحيد الله وحده لا شريك له، وتقرير أصول الدعوة الصحيحة، وإثبات النبوة^(٣٨).

أخبرنا الله تعالى في سورة الأعراف عن قصة سيدنا نوح ﷺ مع قومه، فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وخوفهم العذاب الشديد الذي أعده الله لمن ينكر رسله وآياته، فيرد عليه أشرف قومه باتهامه بالضلال، مع أنهم في الضلال المبين، فليس لديهم حجج وإنما هو الاستكبار بعينه.

ويصبر نوحٌ في مواجهتهم، ويقرر أنه ليس في ضلال، بل هو رسول من ربه بعثه الله لدعوتهم إلى الدين الحق، وينقلهم

من الظلمات إلى النور، وأنه يعلم من الله ما لم يصل إليه علمهم، ومع ذلك فقد كذبوه ولم يؤمنوا بما جاء به؛ لأنه بشر مثلهم، ولا أمل في عودتهم إلى الحق والإيمان، فأنجاه الله والذين معه في السفينة، وأغرق الكفار كلهم؛ بسبب عمى قلوبهم عن نور الحق^(٣٩).

الفرع الأول: وجه تسميتها.

سميت هذه السورة الكريمة بـ(الأعراف) لورود اسم الأعراف فيها في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۖ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۖ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]. والأعراف جمع عرف، وهو كل عال مرتفع؛ لأنه بظهوره أعرف من المنخفض^(٤٠) أي: هو المرتفع من الأرض، وقد استعير من عرف الفرس وعرف الديك^(٤١).

جاء في (لسان العرب): "قال بعض المفسرين: الأعراف أعالي سور بين أهل الجنة وأهل النار، واختلف في أصحاب الأعراف"^(٤٢).

وقال صاحب (مقاييس اللغة): "(عَرَفَ) (عَرَفَ) (عَرَفَ) العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. فالأول العرف: عرف الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه... ومن الباب: العرفة وجمعها عرف، وهي أرض منقادة مرتفعة بين سهلين تتبت، كأنها عرف فرس"^(٤٣).

الفرع الثاني: محور السورة.

بالنسبة لموضوعها يقول (وهبة الزحيلي): "نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء، وبيان أصول العقيدة، وهي كسورة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله ﷻ، وتقدير البعث والجزاء، وإثبات الوحي والرسالة، ولا سيما عموم بعثة النبي ﷺ"^(٤٤).

وقال (علي راضي): "ومشهد الأعراف الذي تذكره السورة من مشاهد يوم الحشر وفي ساحاته. ولعل لكل أمة محشرا، بحيث تتراعى فتا الأمة الواحدة المؤمنة والكافرة، وبين فتني الأمة عرف يقف عليه رجال هم أصحاب الأعراف المذكورون في السورة"^(٤٥).

هذا فقد ذكرت سورة الأعراف قصصاً كثيرة عدا قصة نوح ﷺ، شكلت بمجموعها صورة متكاملة للسورة، وأسهمت في تكامل وحدتها الموضوعية، بحيث لا يمكن أن تحل قصة مكان أخرى؛ إذ لكل منها دوره الذي تؤديه من خلال المشهد الذي تعرضه^(٤٦).

الفرع الثالث: مناسبة سورة الأعراف لما قبلها.

إن مما يذكر من مناسبة ذكرها بعد سورة الأنعام كما قال (المراغي): "أن هذه كالشرح والبيان لما أوجز في سورة الأنعام، ولا سيما عموم بعثة النبي ﷺ، وقصص الرسل قبله، وأحوال أقوامهم، وقد اشتملت سورة الأنعام على بيان الخلق في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ وعلى بيان القرون كما قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ وعلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم، وجاءت هذه مفصلة لذلك، فبسطت فيها قصة آدم، وفصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل"^(٤٧).

ويذكرُ صاحب (الظلال) أن موضوع سورة الأنعام والأعراف هو العقيدة، وكناتهما تعالجان موضوع العقيدة بطريقة

مختلفة، فسورة الأنعام تواجه الجاهلية العربية في حينها - وكل جاهلية أخرى كذلك - ثم أتت سورة الأعراف بعدها، تعرضه في مجال التاريخ البشري مبتدئة بالجنة والملا الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها^(٤٨).

المبحث الثاني:

مشاهد قصة نوح ﷺ ومناسبتها لسورتي القمر والأعراف.

ذكر في المبحث السابق تعريف كلتا السورتين، ويذكر هنا مجموعة من المشاهد التي ذُكرت في قصة نوح ﷺ وقومه في سورتي القمر والأعراف ومناسبة هذه المشاهد لمحور السورتين. وتأتي المشاهد كما يأتي:

المطلب الأول: مشهد دعوة نوح ﷺ قومه إلى عبادة الله.

إن كل رسول من الرسل - عليهم السلام - قد جاء إلى قومه بعد انحرافهم وضلالهم عن التوحيد الخالص، الذي تركهم عليه رسولهم الذي سبقه، فمثلاً بنو آدم الأوائل نشئوا على دين الحق موحدين لله تعالى، ثم بدأ الشرك وانتشر على وجه الأرض، إلى أن جاء نوح ﷺ، فدعاهم إلى توحيد الله مرة أخرى، ومكث في قومه فترة طويلة^(٤٩)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولما ذكر الله ﷻ تقرير المبدأ والمعاد والأدلة البيّنات، أتبعها بذكر قصص الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم، التي تدل على فوائد عدة منها: إنكار الأدلة والبيّنات والرسالة والنبوة ليس مقصوراً على أمة محمد ﷺ، ولكنها تشمل أيضاً الأمم السالفة التي رفضت دعوة رسلهم - عليهم الصلاة والسلام -، كذلك ليثبت فؤاد النبي ﷺ. فتأتي قصة عذاب المشركين التي تدل على خسارة المنكرين في الدارين، والسعادة لمن آمن بالله وحده، زيادة في تثبيت النبي ﷺ وتبشير المؤمنين بثواب الله ونصره. ويجانب ذلك، يأتي عرض هذه القصص بطريقة الوحي التي لم يكن لمحمد ﷺ ولا لقومه علم بها دالة على نبوة وصدق محمد ﷺ^(٥٠).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: ٥٩] وهو جواب قسم محذوف عند الزمخشري^(٥١)، ويقول صاحب (المنار): 'بدأ الله تعالى هذه القصة بالقسم، لتأكيد خبرها لأول من وجه إليهم الخطاب بها، وهم أهل مكة ومن وراءهم من العرب، إذ كانوا ينكرون الرسالة والوحي، على كونهم أميين ليس عندهم من علوم الأمم وقصص الرسل شيء'^(٥٢). فبدأ بقصة نوح؛ إذ هو آدم الأصغر، أي: أبو البشر الثاني، وأول رسول بعث إلى الأرض وأتمته أصرت على تكذيبها له، وقد بعثه الله لدعوتهم إلى توحيد الحق^(٥٣).

قال (الطبري) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: "فقال لمن كفر منهم: يا قوم، عبدوا الله الذي له العبادة، وذّلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادة غيره، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك (عذاب يوم عظيم)، يعني: عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم"^(٥٤). فجاء تصوير هذا اليوم الذي يقع فيه عذاب هؤلاء بأنه عظيم؛ إمعاناً في تخويفهم وردعهم عن باطلهم وتكذيبهم لأنبيائهم.

وبعث الله ﷻ نوحاً ﷺ ليدعو قومه، وينبئهم إلى ثلاثة أشياء كما ذكر (الشعراوي)، وهي: عبادة الله، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ثم بين لهم أنه ليس هناك إله سواه، وأنه الواحد الأحد فقال: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وأظهر لهم حرصه وإشفاقه

عليهم إذا خالفوا وعصوا فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٥٥).

ولعل في استخدام أسلوب النداء البعيد بقوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾ لفظة بيانية مؤداها على البعد النفسي بين المخاطبين ونوح ﷺ؛ إذ شتان بين ما هم فيه من الضلال وما يدعوهم إليه من الحق والهدى، وكذلك يشير إلى استبعاد إيمانهم وبأسه من رشادهم.

المطلب الثاني: مشهد تكذيب القوم لرسالة نوح ﷺ.

تصدرت الآيات في سورة القمر الحديث عن موقف مشركي مكة من دعوة النبي محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [القمر: ٢-٣]، ويقول (عبد الكريم الخطيب): "عرضت- هذه الآيات- موقف المشركين من النبي- صلوات الله وسلامه عليه- وأنهم إن رأوا آيةً واجهوها بالبهت والتكذيب، وقالوا: إنها من واردات السحر، وقد انتهى هذا العرض بدعوة النبي الكريم ﷺ إلى أن يدع هؤلاء المعاندين وشأنهم، وإنهم هم الخاسرون، حيث يوردون أنفسهم موارد الهلاك يوم القيامة، الذي يكذبون به"^(٥٦).

وأشارت الآيات الأولية من سورة القمر إلى الأنبياء التي وصلت هؤلاء المشركين عن الأمم السابقة، الذين كذبوا الرسل، فأحل الله بهم من العقوبات في الدنيا والآخرة، جزاءً وفاقاً بسبب عصيانهم لرسول الله وكفرهم بآيات ربه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤]. ثم عقب الآيات على موقف مشركي مكة بموقف آخر سالف له ومماثل له ألا وهو موقف قوم سيدنا نوح ﷺ من رسالته ودعوته، عندما دعاهم إلى رسالة التوحيد، لكنهم رفضوا، وشتموا، وقالوا: إنه مجنون وازدجر، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

ويتبين وجه المناسبة في الجمع بين موقف مشركي مكة وموقف مشركي قوم نوح ﷺ في بداية استهلاكية سورة القمر من حيث اتحاد الشبه التي رُمي بها كلا النبيين الكريمين عليهما صلوات الله وسلامه. يقول (فضل حسن): "وإذا كان أهل مكة قد وصفوا النبي ﷺ بالجنون بعد دعوته إلى الحق، ووصفوا الآيات الواضحات باتهام الرسول ﷺ بالسحر، فلم يكن النبي بدعاً من الرسل فهاهم قوم نوح يصفون نبيهم بهذا الوصف الظالم"^(٥٧).

ولا غرابة في ضرب هذا المثل لمشركي قريش، وقد علم أن هذا منهج قرآني أصيل في سوق القصص في القرآن الكريم؛ لأخذ العبرة والعظة ولعلمهم يهتدون، قال (ابن عطية): "سوق هذه القصة وعيد لقريش، وضرب مثل لهم، وقوله: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ إخبار من الله أنهم زجروا نوحاً بالسب والتجبه [أي: الرد القبيح] والتخويف"^(٥٨).

ثم جاء الكلام من (ابن عاشور): ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ استئنافاً بياني ناشيء عن قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [٤: القمر] فإن من أشهرها تكذيب قوم نوح رسولهم، وسبق الإنبياء به في القرآن الكريم في السور التي نزلت قبل هذه السورة^(٥٩).

وفي هذا المشهد، نرى أن الملائكة من قومه رفضوا دعوته كما قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]. قال (الطبري): "وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عن جواب مشركي قوم نوح لنوح، وهم (الملائكة)... أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له: (إنا لنراك)، يا نوح (في ضلال مبين)، يعنون في أمر زائل عن الحق، مبين زواله عن قصد الحق لمن تأمله"^(٦٠).

والنكتة البلاغية في اختيار لفظ "الملائكة" حيث يطلق الملائكة على أشرف القوم وقادتهم؛ لأن شأنهم أن يكون رأيهم واحداً عن تشاور، وهذا المعنى هو المناسب في هذه الآية بقرينة (من) الدالة على التبعية، أي: إن قادة القوم هم الذين تصدوا

لمجادلة نوح والدفاع عن دينهم، على مسمع من القوم الذين خاطب جميعهم^(٦١)، وذكر (الطبيي) أنَّ من دلالة كلمة (الملاً) أنَّهم مليونون قادرون بما يراد منهم في كفاية الأمور^(٦٢).

ومن النكات الدالة على إعجاز القرآن في اختياره لألفاظه ومفرداته وتركيب جملة، استخدامه المؤكدات الدالة على عنادهم وتصميمهم على كفرهم، وتمثل هذا في مجيء "إن" الدالة على التوكيد، وضمير الجمع الدال على العظمة وإطباقهم على هذا الرأي الضال، والمؤكد الآخر المائل في اللام المزحلقة في قوله: ﴿لَتَرَكَ﴾، وفي الظرفية الدالة على تغليف هذا الضلال لهم من جميع جهاتهم بحيث أصبحوا لا يبصرون الحقيقة، ثم أخيراً نعت هذا الضلال بالمبين، أي: الواضح الذي لا يخفى على كل ذي لب.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَتَرَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال (ابن عطية): "وأما قولهم ﴿لَتَرَكَ﴾ يحتمل أن يجعل من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر^(٦٣)، ويرى الرازي أن هذه الرؤية لا بد أن تكون بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والرؤية الحقيقية^(٦٤).

وقال (ابن كثير): ﴿إِنَّا لَتَرَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا، وهكذا حال الفجار، إنما يرون الأبرار في ضلالة^(٦٥).

وكذلك جاء كلام عن (الرازي) لهذه الآية الكريمة، وقال: "وقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطأ ظاهر، وضلal بيّن، ولا بد أن يكون مرادهم نسبة نوح إلى الضلال في المسائل الأربع التي بينا أن نوحاً ﷺ ذكرها وهي التكليف، والتوحيد، والنبوة، والمعاد^(٦٦).

المطلب الثالث: مشهد إنذار نوح ﷺ قومه ونصيحته لهم.

وفي هذا المشهد، ظهر لنا أن الكفار من قومه قد اتهموا نبيهم نوحاً ﷺ بالسفه والضلal العظيم، مع أنهم في فرقة خبيثة، فجاء جواب سيدنا نوح ﷺ بأنه رسول من الله ﷻ إليهم، لتبليغ رسالة الدعوة الحقيقية الصحيحة. وهذا من سنة الله في إرسال رسول من قومه، يدعوهم بلسانهم؛ للتيسير عليهم في التقاهم والتعارف^(٦٧) قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أبلغكم رسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

قال شيخ المفسرين (الطبري) في تفسيره هاتين الآيتين: "قال نوح لقومه محبباً لهم: يا قوم، لم أمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة، زوالاً مني عن محجة الحق، وضلalاً لسبيل الصواب، وما بي ما تظنون من الضلال، ولكني رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به: من إفراده بالطاعة، والإقرار له بالوحدانية، والبراءة من الأنداد والآلهة... أرسلني إليكم، فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقاب الله على كفركم به، وتكذيبكم إياي، وردكم نصيحتي ﴿وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين^(٦٨).

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل ضلال كما قالوا؛ لأن الضلاله أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال ليس بي شيء من الضلال، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلال، فقال: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن كونه رسولاً من الله مبلغاً لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم، فكان في الغاية القصوى من الهدى^(٦٩).

روى الإمام مسلم في صحيحه قوله ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى

الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات^(٧٠). وهذا الحديث يدل على أن الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، مسؤولون عن تبليغ رسالة النبوة وتبليغها إلى الناس.

قال (الرازي): «الفرق بين تبليغ الرسالة والنصيحة هو أن تبليغ الرسالة معناه: أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه وأما النصيحة، فهو أنه يرغبه في الطاعة ويحذره عن المعصية ويسعى في تقرير ذلك الترغيب والترهيب لأبلغ وجوه»^(٧١).

والنصيحة هي شيء عظيم في الإسلام؛ فقد قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٧٢).

إن نوحاً ﷺ كان يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهرًا، ترغيباً وترهيباً زمناً طويلاً، ونصح لهم: وقال لهم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عطفًا على ما قبله، وتقريباً لرسالته -عليه الصلاة والسلام-، أي: أعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الأمور الآتية، أو أعلم من شؤونه ﷻ وقدرته القاهرة، وبطشه الشديد وقوته العظيمة على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين^(٧٣).

بعد تقرير نوح لهم، أنه رسول الله بعثه لدعوتهم إلى ترك الشرك وعبادة الله الواحد القهار، وبيان أنهم لم يقبلوا رسالته المستقيمة، بل قالوا له أنت في الضلال المبين، جاء قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

وقد افتتح الآية الكريمة بالاستفهام، للرد على شبهتهم الخبيثة، ورد الخطأ في نفوسهم على سيدنا نوح، كما قال (الزمخشري): «أَوْعَجِبْتُمْ» الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف^(٧٤)، أما (ابن عطية) فقد جعل هذا الاستفهام بمعنى: التقرير والتوبيخ^(٧٥).

وهذا الأمر مستمر لكل نبي ورسول حتى عهد سيدنا محمد ﷺ، عندما أنكر المشركون وطعنوا في صدق نبوته ﷺ، وهذا منطوق الجهل والظلم نجده في كل زمان، الأمة تتطور وتتغير، ولكن الشرك والضلال يبقى كما هو لا يتغير.

قال صاحب (المنار): «وقد عُلم من قوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أن شبهتهم على الرسالة هي كون الرسول بشراً مثلهم، كأن الاشتراك في البشرية وصفاتها العامة يقتضي التساوي في الخصائص والمزايا ويمنع الانفراد بشيء منها! وهذا باطل بالاختبار والمشاهدة في الغرائز والقوى العقلية والعضلية، وفي المعارف والأعمال الكسبية، فالتفاوت بين أفراد البشر عظيم جدا لا يشبههم فيه نوع آخر من أنواع المخلوقات في عالم الشهادة»^(٧٦).

وبعث الله أنبياءه؛ ليكونوا وسطاء بين الله وعباده، ليبلغوا الناس أوامر الله ونواهيه، ويكونوا -عليهم الصلاة والسلام-، قدوة للناس في سلوكهم، وأخلاقهم وتصرفاتهم، لذلك بعثهم من البشر. ولو كان الرسل من الملائكة لما استطاع البشر أن يأخذوا عنهم، أو يجتمعوا بهم؛ لأن طبيعتهم مختلفة عن طبيعة البشر أي: إنهم لا يعصون الله ومطيعون له ﷻ، وليس فيهم شهوة لا يأكلون ولا يشربون وغير ذلك.

ثم قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجيب أن يوحي الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفًا وإحسانًا إليكم، جاء هذا النبي الأمين إليكم لينذركم ويحذركم عاقبة الكفر بالله ورسوله، ولتتقوا نعمة الله، ولا تشركوا به، ولتوجد منكم التقوى بسبب الإنذار، ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم^(٧٧).

وقد ذكر صاحب (الظلال) أن نوحاً ﷺ يكشف هدف الرسالة، بقوله: «لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون»، فهو الإنذار

لتحريك القلوب بمشاعر التقوى، ليحصلوا على رحمة الله إن اتقوا. وكل ما جاء به ﷺ بهذه الأمور الثلاثة ليس له وراء ذلك مصلحة أخرى ولا هدف، إلا الدعوة إلى الله وحده^(٧٨).

المطلب الرابع: مشهد دعاء نوح ﷺ إلى الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، تصور لنا هذه الآية مشهداً تجلى فيه يأس الداعية من المدعويين، فقد ضاق بهم ذرعا وهو الذي عاش فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، واستنفد طاقته في دعوتهم وهدايتهم وما رأى منهم سوى الجحود والإغراق في التكذيب والكفر، فما كان منه بعد أن أغلقت نوافذ الأمل في هدايتهم إلا أن توجه بدعاء خالص إلى رب الأرض والسموات، واضعاً شكواه بين يديه، طالباً النصر والمدد على هؤلاء المكذبين، وكذلك هي طريق الدعوة شائكة وملينةً بالمشقة والصعاب.

ذكر (الطبري) أن المعنى: "إن قومي قد غلبوني، تمرّدوا وعتوا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك"^(٧٩)، كأنه دعا ربه على قومه، ويقول لربه: ليس لي قدرة، ولا طاقة لي بمواجهة كفرهم وعنادهم بعد مدة طويلة من دعوتهم إلى الإيمان، وهم قد غلبوني، فلم يسمعوا مني، واستحكم اليأس منهم، فانتصر لي وانتقم منهم بعذاب ترسله عليهم^(٨٠). ذكر بعض المفسرين: أن الواحد من قومه كان يخنقه ﷺ إلى أن يخر مغشياً عليه، وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون^(٨١).

وقد روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: (كأنني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبياً من الأنبياء^(٨٢)، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)^(٨٣). إنه كان نبياً مكرماً صابراً وثابتاً على طريقته المستقيمة، مقابل قومه، وعاش فيهم، وأقام عليهم الحجة، وجادلهم بالبرهان ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يريدون عليه رداً غليظاً وظالماً.

المطلب الخامس: مشهد استجابة الله له وقصة السفينة.

بعد المجادلة التي حصلت بين نوح ﷺ والمشركين من قومه وما نجم عنها من إمعانهم في الكفر والتكذيب، دعا نوح ﷺ ربه ﷻ فاستجاب الله له وجاءهم العذاب العظيم، كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢].

قال (الطبري): "يقول تعالى ذكره (فَفَتَحْنَا) لما دعانا نوح مستغيثاً بنا على قومه (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) وهو المندفق"^(٨٤)، ثم أتى (الرازي) بالرأيين عن المراد من الفتح، والأبواب والسماء، أهو حقائقها أو هو مجاز؟ وقال: "أحدهما: حقائقها وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه وثانيهما: هو على طريق الاستعارة، فإن الظاهر أن الماء كان من السحاب، وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أي: كأنه ذلك، فالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل: فتحت أبواب السماء، ولا شك أن المطر من فوق كان في غاية الهطلان"^(٨٥).

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ منصب انصباباً شديداً، تتابع ولم ينقطع أربعين يوماً^(٨٦)، أي: قد ابتلي القوم بمطر غزيرٍ شديدٍ من السماء خلال فترة طويلة.

قال صاحب (الظلال) في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ "وهو تعبير يرسم مشهد التفجر وكأنه ينبثق من الأرض

كلها، وكأنما الأرض كلها قد تحولت عيوناً^(٨٧). وفسّر (الطبري) وغيره قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ بأن المقصود الماءان: ماء السماء وماء الأرض؛ لأن الالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعداً لأن الماء يكون جمعاً، وواحداً، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع. وقيل: التقى الماء على أمر قد قُدر؛ لأن ذلك كان أمراً قد قضاه الله في اللوح المحفوظ^(٨٨).

ثم عرضت القصة ما فعل مع قوم نوح المؤمنين الذين معه في السفينة، والكافرين في الطوفان، قال الله ﷻ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: ١٣-١٤].

فسّر (الطبري) هذه الآية بقوله: "وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قُدر على سفينة ذات ألواح ودُسُر"^(٨٩). وقال (ابن عاشور): ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضاً عن أن يقال: وحملناه على الفلك؛ لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه، فإن الله أمره بصنع السفينة، وأوحى إليه كيفية صنعها، ولم تكن تعرف سفينة قبلها^(٩٠).

وكذلك قال (الشعراوي): "وفي موضع آخر يُعلمنا ﷻ عن كيفية صنعها فيقول: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ وقلنا: إن الدُسُر: الحبال التي تُضمُّ بها ألواح الخشب بعضها إلى بعض شريطة أن تكون جافة، وتُضمُّ إلى بعضها بحكمة حتى إذا ما نزل الماء وتشرّبت منه يزيد حجمها فتسدُّ المسام بين الألواح، كما نراهم مثلاً يصنعون براميل الزيت من شرائح الخشب"^(٩١).
جاء في (مقاييس اللغة): "ومما شذ عن الباب وهو صحيح: الدسار: خيط من ليف تشد به ألواح السفينة، والجمع دسر. قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]. ويقال الدسر: المسامير"^(٩٢).

وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فقد ذكر (القاسمي) أنه كناية عن حفظها، أي: إن السفينة بحفظ الله تعالى وعنايته^(٩٣). تجري محفوظة بحراستها (وهي تحت مراقبة الله ﷻ)، فقد كانت بمرأى منا فنحن نكلؤها ونرعاهها، كما يرى المرء ما يراه بعينه، ويقع تحت سمعه وبصره^(٩٤).

وقال تعالى: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾: أي: جعلنا ذلك ثواباً وجزاءً لنوح على صيره على أذى قومه وهو المكفور به، فاللام في (لمن) لام المفعول له، وقيل: (كفر) أي: جحد، ف(من) كناية عن نوح، وقيل: كناية عن الله، والجزاء بمعنى: العقاب، أي: عقاباً لكفرهم بالله تعالى^(٩٥).

المطلب السادس: مشهد أحوال المؤمنين والكافرين في نهاية القصة.

لقد كانت طبيعة الكفار من قوم نوح ﷻ، أنهم كلما ازداد نبيهم نصحاً وإنذاراً لهم ازدادوا كفراً وعناداً وفساداً، ولم يقبل دعوته إلا قليل منهم، فأخبرنا الله تعالى عن عذاب الكافرين في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]. كما قال (الشعراوي): "وكان هذا أول حدث عقابي في تاريخ الديانات؛ لأن رسالة نوح ﷻ هي أول رسالة تعرضت إلى مثل هذا التكبذب العناد"^(٩٦)، فأرسل الله إليهم الطوفان الشديد، والطوفان كان جندياً من جنود الله في القضاء عليهم، على ما فعلوا وقالوا لنبيهم -عليه الصلاة والسلام-.

قال (الطبري): "فكذب نوحاً قومه إذ أخبرهم أنه الله رسول إليهم، يأمرهم بخلع الأنداد، والإقرار بوحديانية الله، والعمل بطاعته، وخالقوا أمر ربهم، ولجؤا في طغيانهم يعمهون، فأنجاه الله في الفلك، والذين معه من المؤمنين به"^(٩٧).

وقال (أبو حيان الأندلسي): "أخبر تعالى أنهم كذبوه هذا مع حسن ملاظفته لهم ومراجعتهم لهم وشفقتهم عليهم، فلم يكن

نتيجة هذا إلا التكذيب له فيما جاء به عن الله، والذين معه في الفلك هم من آمن به وصدقه ... وفي قوله: ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ إِعْلَامٌ بِعِلَّةِ الْغَرَقِ وَهُوَ التَّكْذِيبُ وَ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يَفْتَضِي أَنْ نُوْحًا كَانَتْ لَهُ آيَاتٌ وَمُعْجَزَاتٌ تَدُلُّ عَلَى إِرْسَالِهِ^(٩٨). وكلمة ﴿الْفُلُكُ﴾ في اللغة كما نكر (الفراهيدي): "والفلك: السفينة، يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ (وهي واحدة، تكون جمعاً)... والفلُك: جماعة السُّفُنِ"^(٩٩). وكذلك معناه عند صاحب المفردات، وذكر: "أن تقديرهما مختلفان، فإنَّ الْفُلُكَ إن كان واحداً كان كبناء قفل، وإن كان جمعاً فكبناء حمر"^(١٠٠). ومن هنا نعلم أن السفينة إما أن تكون واحدة وإما عندها أكثر؛ لأن القرآن الكريم لم يفصل عنها، وكذلك لم يوضح لنا عددهم فيها.

وعذبهم الله بإغراقهم في الطوفان العظيم؛ لأنهم ما كذبوا إلا لعمى في بصائرهم حال دون اعتبارهم، وفهمهم لدلالة الآيات على توحيد الله وقدرته على إرسال الرسل وحكمة ربييته في ذلك^(١٠١).

ويشرح لنا (ابن عاشور) سبب تقديم الإخبار بالإتجاه على الإخبار بالإهلاك، فيقول: "وقدّم الإخبار بالإتجاه على الإخبار بالإغراق، مع أن مقتضى مقام العبرة تقديم الإخبار بإغراق المنكرين، فقدم الإتجاه للاهتمام بإنجاء المؤمنين، وتعجيلاً لمسرة السامعين من المؤمنين بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسل والمؤمنين، فلذلك التقديم يفيد التعريض بالندارة، وإلا فإن الإغراق وقع قبل الإتجاه، إذ لا يظهر تحقق إنجاء نوح ومن معه إلا بعد حصول العذاب لمن لم يؤمنوا به، فالمعقب به التكذيب ابتداءً هو الإغراق، والإنجاء واقع بعده"^(١٠٢).

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ فقد قال (الرازي) في تفسيره: "قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد، والنبوة والمعاد"^(١٠٣).

ونكر (ابن فارس) أن (عمي) العين والميم والحرف المعتل، أصل واحد يدل على ستر وتغطية. من ذلك العمى: ذهاب البصر من العينين كليهما. ورجل عم، إذا كان أعمى القلب؛ وقوم عمون^(١٠٤)، أي: إنهم عموا عن الحق في عبادة الله ﷻ، وقلوبهم رفضوا رسالته المستقيمة، حتى ظهر العذاب لإزهاق الضلال والباطل وإهلاكهم.

الخاتمة.

توصل البحث إلى أهم النتائج الآتية:

- ١- إن هناك علاقة متينة بين السورة والقصة التي تنكر فيها، ويجلي "علم المناسبات" هذه العلاقة، ويوضح هذا اتساق مشاهد قصة نوح ﷺ الواردة مع موضوعات سورة القمر والأعراف. ومن هنا يتبين أنه لا يوجد تكرار في القرآن الكريم على الحقيقة، فكل سورة تذكر من أحداث القصة ما يتناسب مع خصائصها وموضوعاتها.
- ٢- كلتا السورتين العظيمتين (القمر والأعراف) من السور المكية، عرضت لقصص الأمم السالفة مثل: قصة سيدنا نوح ﷺ مع قومه الكافرين؛ لتسليّة فؤاد النبي ﷺ في مواجهته لمشركي مكة، فيزداد النبي ﷺ يقيناً على الحق، وبيان أنه ليس وحده من سار على طريق الدعوة والرسالة، ولكن إخوانه الرسل من قبله ساروا على الدرب نفسه، فكان له فيهم أسوة حسنة، لذا جاءت بعض القصص أكثر من مرة في سور متعددة وسياقات مختلفة.
- ٣- تحدثت سورة القمر عن القوم الكافرين الذين لا يؤمنون بآيات الله، فجاءت الآيات رداً حاسماً على أولئك المعرضين وتثبيتاً مكيناً للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت قصة نوح لبيان عاقبة المكذبين؛ بسبب تكذيبهم لنبيهم وإنكارهم لنبوته، وقد وجدنا الاتساق والتناسب في السورة بين محور السورة والقصص الواردة فيها. ومن المشاهد التي جرت بين

- نوح ﷺ وقومه وذكرتها السورة مشهد تكذيب قومه لدعوته، ومشهد دعاء نوح ﷺ ومناجاته لربه واستجابة الله له.
- ٤- وأما سورة الأعراف، فقد امتنت على الناس بأن مكن الله لهم في الأرض، وجعل لهم فيها معاش، فلا بد من أن يشكروه على نعمه. وجاءت قصة نوح متناسبة مع موضوع السورة ومحورها. وعرضت هذه السورة الكريمة لمشاهد عدة من قصة نوح ﷺ مع قومه، بدأ من دعوته ﷺ، ثم إنكارهم لرسالته الربانية ومجادلتهم له ﷺ حتى جاءهم العذاب.
- ٥- كلتا السورتين (القمر والأعراف) حوت أكثر من قصة، وجميع هذه القصص أسهمت في تحقيق محور السورة وتعزيز لبناتها، لكن لا غنى لمشاهد قصة عن أخرى في السورة نفسها، فلا يمكن الاستغناء مثلا بمشاهد قصة نوح ﷺ في سورة القمر أو الأعراف عن مشاهد غيرها من القصص الواردة في السورة عينها، إذ لكل منهما دور توديه في السورة؛ ليتحقق بهما معا تكاملها ووحدتها الموضوعية.

الهوامش.

- (١) ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، (ط٢)، ص ٥٩.
- (٢) ينظر: فهد خليل زايد، أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية، عمان، ٢٠٠٧م، (١ط)، ص ١٨٩.
- (٣) جاء في سورة التحريم المدنية ذكر مشهد يختص بزوجة نوح عليه السلام الكافرة وضرب الله المثل بها، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].
- (٤) أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (د.ط)، باب النون والسين وما يتلثهما، ج ٥، ص ٤٢٣.
- (٥) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٥٧م، (١ط)، ج ١، ص ١٤٢.
- (٦) <http://alkhadri.com> / علم-المناسبات-في-القرآن. تاريخ الاطلاع ٢٥/٨/٢٠١٤م.
- (٧) بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م، (١ط)، ج ١، ص ٣٥.
- (٨) <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>.
- (٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب باب الشين والهاء وما يتلثهما، ج ٣، ص ٢٢١.
- (١٠) سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، (ط١٤)، ص ١٠.
- (١١) ينظر: محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (ط٢)، ج ١٧، ص ١٢٥. وينظر: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، (د.ط)، ج ٢٧، ص ١٦٥.
- (١٢) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، (ط٣)، ج ٤، ص ٤٣٠. وينظر: محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث

- العربي، ١٤٢٠هـ، (ط٣)، ج٢٩، ص٢٨٨.
- (١٣) ينظر: فضل حسن عباس (ت ١٤٣٢هـ)، **قصص القرآن الكريم**، العبدلي، دار النفائس، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، (ط٣)، ص١٧٨.
- (١٤) قال الزرقاني: "إن قصر السور والآيات المكية لا يدل على ما زعموه من امتياز القسم المكي بمميزات الأوساط المنحطة بل القصر مظهر الإيجاز، والإيجاز مظهر رقي المخاطب وآية فهمه وذكائه بحيث يكفيه من الكلام موجزه ومن الخطاب أفسره. أما من كان دونه ذكاء وفهما فلا سبيل إلى إفادته إلا بالإسهاب والبسط إن لم يكن بالمساواة والتوسط". محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت)، (ط٣)، ج١، ص٢١٧.
- (١٥) ينظر: الهنأى، عصام الدين عبد الحميد، **القصة في القرآن الكريم تحليل مقارن**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، (د.ط)، ص٣٧-٣٨.
- (١٦) ينظر: المصدر السابق.
- (١٧) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤، ص٢٩٣.
- (١٨) مناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (ط٣)، ص٦٣.
- (١٩) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، (د.ط)، ج١، ص١٩٤.
- (٢٠) ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (ط١)، كتاب تفسير القرآن، باب (فاسجدوا لله واعبدوا)، ج٦، ص١٤٢.
- (٢١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص١٦.
- (٢٢) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر المعاصر، (ط٢)، ١٤١٨هـ، ج٧، ص١٤٢.
- (٢٣) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، باب القاف والميم وما يمثلها، ج٥، ص٢.
- (٢٤) إسماعيل بن أحمد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (ط٤)، فصل القاف، ج٢، ص٧٩٩.
- (٢٥) علي راضي أبو زريق، **معجزة أسماء السور القرآنية**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، (ط١)، ص٦٠٧.
- (٢٦) محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، (ط٢)، ج٢، ص٤١٣، رقم الحديث (٥٣٣).
- (٢٧) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ، (ط١)، ج٧، ص٤٣٥.
- (٢٨) سيد قطب (ت ١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن**، دار العربية، بيروت، (د.ت)، (ط٤)، ج٧، ص٧٩.
- (٢٩) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص١٦٦.
- (٣٠) ذكرت سورة القمر مشاهد من قصة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، وما أصيبوا به من عذاب الله جراء تكذيبهم لرسولهم.
- (٣١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص٨٦-٨٧.
- (٣٢) أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ/

- ١٩٤٦م، (ط١)، ج٢٧، ص٧٤.
- (٣٣) قال السيوطي: "عن ابن عباس قال: السبع الطول: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. قال الراوي: وذكر السابعة فنسيتها وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها يونس". السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٢٠. وينظر: القطن، **مباحث في علوم القرآن**، ص١٨٥.
- (٣٤) قال البغوي: (مكية كلها إلا خمس آيات أولها: وسئلهم عن القرية التي كانت [١٦٣-١٦٧]). البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص١٧٩. وكذلك قال ابن عطية في تفسيره: (وقال مقاتل هي مكية إلا قوله: **﴿وَسئَلَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ﴾** [الأعراف: ١٦٣] إلى قوله: **﴿مَنْ ظَهَرَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** [الأعراف: ١٧٢] فإن هذه الآيات مدنية)، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، (ط١)، ج٢، ص٣٧٢. وينظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج١، ص١٩٩.
- (٣٥) قال الزركشي: (سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات: {واسألهم عن القرية التي كانت} إلى قوله: {وإذ نتقنا الجبل}، ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٠٠.
- (٣٦) ينظر: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، (ط١)، ص١٥٥. وينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٨، ص٧.
- (٣٧) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤، ص١٩٤.
- (٣٨) ينظر: الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، (ط٢)، ج١، ص٤٣٤.
- (٣٩) ينظر: الهنامي، **القصة في القرآن الكريم تحليل مقارن**، ص٣٨-٣٩.
- (٤٠) ينظر: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (ط١)، ج١٢، ص١٨. والقريطي، **أحكام القرآن**، ج٧، ص٢١٣. وينظر: جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، (ط٣)، فصل العين المهملة، ج٩، ص٢٤١.
- (٤١) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص١٠٧.
- (٤٢) ابن منظور، **المرجع السابق**.
- (٤٣) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، باب العين والراء وما يثلثهما، ج٤، ص٢٨١.
- (٤٤) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٨، ص١٣٣.
- (٤٥) أبو زريق، **معجزة أسماء السور القرآنية**، ص١٦٩.
- (٤٦) ذكرت سورة الأعراف القصص الآتية: قصة آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى -عليهم السلام جميعا-.
- (٤٧) المراغي، **تفسير المراغي**، ج٨، ص٩٧. وينظر: شهاب الدين محمود الألويسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، (ط١)، ج٤، ص٣١٥.
- (٤٨) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص٩٥.
- (٤٩) ينظر: **المصدر السابق**.
- (٥٠) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤، ص٢٩٣.
- (٥١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص١١٢.
- (٥٢) محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، (د.ط)، ج٨، ص٤٣٦.
- (٥٣) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٥، ص٨١.

- (٥٤) الطبري، تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٤٩٨.
- (٥٥) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج ٧، ص ٤٩٢.
- (٥٦) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ١٤، ص ٦٤٢.
- (٥٧) ينظر: عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١٧٨.
- (٥٨) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٢١٣-٢١٤.
- (٥٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٧٩.
- (٦٠) الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٤٩٩. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١١٣.
- (٦١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩٠.
- (٦٢) ينظر: الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: جميل محمد بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، (ط ١)، ج ٦، ص ٤٢٠.
- (٦٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٤١٥.
- (٦٤) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٦٩.
- (٦٥) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٨٧-٣٨٨.
- (٦٦) الرازي: المرجع السابق.
- (٦٧) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٨٥.
- (٦٨) الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٥٠٠.
- (٦٩) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١١٣-١١٤. وينظر: عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (ط ١)، ج ١، ص ٥٧٦.
- (٧٠) مسلم بن حجاج النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم الحديث (١٢١٨)، ج ٢، ص ٨٨٦.
- (٧١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٩٧.
- (٧٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث (٩٥)، ج ١، ص ٧٤.
- (٧٣) ينظر: أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ج ٣، ص ٢٣٦.
- (٧٤) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١١٥. وينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٣، ص ١٨. وينظر: أبو سعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٢٣٦. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩٥.
- (٧٥) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٤١٦.
- (٧٦) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٨، ص ٤٣٩.
- (٧٧) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١١٥. وينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٣٢. وينظر: النسفي، مدارك التنزيل، ج ١، ص ٥٧٧.
- (٧٨) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٨٧.
- (٧٩) الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٥٧٧.
- (٨٠) المراجع السابقة.

- (٨١) أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣٨. ينظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٥، ص ٣١٢. وينظر: نظام الدين الحسن النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن وغرائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، (ط١)، ج ٦، ص ٢١٨.
- (٨٢) علّق مصطفى البغا بقوله: " (يحكي نبيا) يشبهه ويصفه بحاله، وقيل: المراد نبي من بني إسرائيل، وقيل: نوح ﷺ، وقيل: النبي نفسه ﷺ". البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج ٤، ص ١٧٥، رقم الحديث (٣٤٧٧).
- (٨٣) المرجع السابق.
- (٨٤) الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٥٧٧.
- (٨٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٢٩٥.
- (٨٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٤٣٤. وينظر: الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، (ط١)، ج ٤، ص ٣٢٣.
- (٨٧) قطب، في ظلال القرآن، ج ٧، ص ٨٧.
- (٨٨) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٥٧٧.
- (٨٩) المرجع السابق.
- (٩٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٨٤.
- (٩١) محمد متولي الشعراوي (ت ١٩٩٨م)، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩١م، ج ١٦، ص ١٠٠١٤.
- (٩٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب (دسر)، ج ٢، ص ٢٧٨.
- (٩٣) ينظر: محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤١٨هـ، ٩١/٩.
- (٩٤) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٧، ص ٨٣.
- (٩٥) القرطبي، أحكام القرآن، ج ١٧، ص ١٣٣.
- (٩٦) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج ٧، ص ٤٢٠٤.
- (٩٧) الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٥٠٢.
- (٩٨) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٨٥.
- (٩٩) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، (ط١)، باب الفاء، ج ٢، ص ٣٣٨. وينظر: الطبري، المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٧٣.
- (١٠٠) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، (ط١)، ١٤١٢هـ، الباب فن، ص ٦٤٥.
- (١٠١) ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٨، ص ٤٤٠.
- (١٠٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩٧-١٩٨.
- (١٠٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٩٨-٢٩٩.
- (١٠٤) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ١٣٣-١٣٤.